عبد الحميد بن هدوقة ومساهمته في إثراء الأدب العربي

هارون الرشيد *

الملخص:

عبد الحميد بن هدوقة، الروائي الجزائري البارز، أثرى الأدب العربي الجزائري بأعماله المتنوعة والقيمة. وُلد في تونس عام ١٩٢١ ووفاته في ٢٠١٤. تألق في ميادين الأدب بإبداعاته في الرواية والشعر والقصة والتمثيل والصحافة. ساهم بكتابات أدبية هامة ودراسات نقدية ومجموعات شعرية. لعب دورًا كبيرًا في نشر الأدب الجزائري عالميًا وعربيًا. ترك بصمته في تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية والسياسية من خلال أعماله الأدبية. ابن هدوقة يعتبر رمزًا في الأدب العربي وشخصية ثقافية مهمة في الجزائر والعالم العربي.

الكلمات الرئيسة: عبد الحميد بن هدوقة، الأدب العربي، دراسات نقدية، الشعر، الجزائر.

نبذة عن عبد الحميد بن هدوقة:

ميلاده ونشأته: ولد ابن هدوقة في التاسع من شهر يناير عام ١٩٢٥م، بمدينة المنصورة بولاية برج بوعريريج[١] لأم بربرية وأب عربي ليتمتع بخلفيتين؛ محلية وأخرى عربية عالمية، وأمضى ابن هدوقة طفولته في تلك القرية الجبلية، ولم يقطع روابطه بها، ومن ثم تعكس صورة تقاليد هذه المنطقة وعاداتها في أعماله الشعرية والقصصية والروائية. ونشأ في أسرة مثقفة نسبية، كما اعترف به ابن هدوقة في حوار له مع الكاتب التونسي بن جمعة بوشوشة قائلًا: "تربيتُ في أسرة عربية إسلامية متدينة ومثقفة وزاولت أغلب دراستي في

---

* باحث، مركز الدراسات العربية الإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي.

[١] عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، رواية، الشركة الوطنية للنشر، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م، غلاف الرواية.

الفنون الأدبية التقليدية، والعلوم الشرعية على يد والدي الذي كان حافزًا على التحصيل والعلم"[٢] إلا أن طفولته كانت صعبة يميزها واقع مؤلم ويطبعها البؤس والتعاسة وضيق المعيشة، خاصة في الأرياف، مثل الأطفال الآخرين الذين ولدوا بين الحربين العالميتين.

تعليمه وثقافته: إنه تعلّمَ على أبيه وقرأ عليه بعض الكتب الابتدائية من الأجرومية في أصول النحو وشذور الذهب في النحو وألفية بن مالك في النحو وشرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو، كما قرأ كتب ابن عاشر في الفقه والدرة البيضاء في الفقه والحساب والأخضرية في الفقه وخليل بن إسحاق الذي كان مشهورا في القرى الجزائرية وغيرها من الكتب. ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية، وانتقل منها إلى جامع الكتانية عام ١٩٤٠م وقضى هناك أربع سنوات في التحصيل العلمي بفرع الآداب بجامع الزيتونة بتونس، وفي الوقت نفسه كان يدرس في معهد الفن الدرامي[٣].

ثم شد رحاله للتزود من المزيد من المعرفة إلى مرسيليا عام ١٩٤٥م وحصل على شهادة الدبلوم في تحويل المواد البلاستيكية من معهد الكتوين، كما حصل على الشهادة العالمية في الأدب من جامع الزيتونة ونال شهادة التمثيل العربي من معهد فنون الدراما من نفس الجامعة.[٤]

وظائف ابن هدوقة: عمل في عدة المجالات واحترف عدة مهن، وتقلد عدة مناصب سامية، كما عمل كمدرس الأدب العربي بالمعهد الكتاني، وانضم إلى القسم

---

[٢]. مريم العربي، عبد الحميد بن هدوقة والبعد الاجتماعي – ريح الجنوب أنموذجًا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العام الجامعي: ٢٠١٦-٢٠١٧م، ص ٥.

[٣]. ستيبانوف، "***عبد الحميد بن هدوقة الكاتب الكلاسيكي الحي***"، دراسة، قام ابن هدوقة "أنيس" بتحميلها على الموقع الخاص بالأديب ابن هدوقة، والمقال أصلا بالفرنسية نقلها إلى العربية عبد العزيز بوباكير جامعي الجزائر، عنوان الموقع:
(https://www.benhedouga.com/)، تاريخ زيارة الموقع: ١٦/ ٠٣/ ٢٠٢٢م.

[٢]. أنيس بن عبد الحميد بن هدوقة، السيرة الكاملة لعبد الحميد بن هدوقة، تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٢٢/٠٣/١٦.

العربي في الإذاعة العربية بباريس حيث عمل كمخرج إذاعي، ومنها انتقل إلى تونس ليعمل في نفس المجال الإعلامي الإذاعي حيث عمل في الإذاعة التونسية، ومن قبل سبق له العمل في فرنسا كمخرج متدرب في الإذاعة الفرنسية فيما بين ١٩٥٦- ١٩٥٨م، كما كانت له برامج مختلفة مثل البرنامج الأدبي باسم "ألوان" وبرنامج "اختبر ذكاءك"،[٥] وبعد عودته إلى الجزائر إثر الاستقلال عمل في الإذاعتين باللغة الجزائرية والأمازيغية لمدة أربع سنوات بالإضافة إلى رئاسته لجنة إدارة دراسة الإخراج بالإذاعة والتلفزيون والسينما في الجزائر إلى أن ارتقى إلى المناصب العليا حيث أصبح مديراً في الإذاعة والتلفزيون الجزائري عام ١٩٧٠م. كما عمل في مجال الصناعة[٦] والفن الدرامي.[٧]

زواجه وأولاده: أنه تزوج فرنسية وأنجب منها بنتًا ثم تزوج في الجزائر مع امرأة جزائرية وأنجب منها ثلاثة أولاد[٨].

وفاته: وتوفي ابن هدوقة في ٢٦/ أكتوبر عام ١٩٩٦م[٩]، عن عمر يناهز ٧١ سنة وتسعة أشهر و١٧ يومًا. تقول زهرة ديك بمناسبة العزاء على وفاته: "فقدت الجزائر قامة من قامات الأدب في شهر أكتوبر سنة ١٩٩٦م، بعد ما ضحى بالنفس والنفيس في سبيل الأدب الجزائري والرواية العربية الجزائرية المعبرة عن الواقع الحقيقي والصادقة الهادفة"[١٠].

---

[٥]. الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الجزائر، دار الحكمة للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص ١٥٤.

[٦] . أنيس بن عبد الحميد بن هدوقة، السيرة الكاملة لعبد الحميد بن هدوقة، تاريخ زيارة الموقع: ٢٠٢٢/٠٣/١٦. دراسة علمية مبسوطة تم نشرها في موقعه الخاص: http://www.benhedouga.com

[٧] . ستيبانوف، " عبد الحميد بن هدوقه الكاتب الكلاسيكي الحي" يوجد المقال في الموقع عنوانه: http://www.benhedouga.com

[٨]. طيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الجزائر، دار الحكمة للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص ١٥٤.

[٩]. زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ص ٢٩٢.

[١٠]. نفس المصدر، ص ٢٩٢.

إسهامات ابن هدوقة الأدبية:

برز ابن هدوقة على الساحة الثقافية والعلمية كشخصية علمية وأدبية له حضور ملموس في الصحافة والتمثيل والإبداع الشعري والقصصي والروائي. منذ أن حصل على ثقافة صالحة للعمل فيما تعلم بدأ يعمل في مجال التدريس واستقال من كل المناصب السياسية عام ١٩٥٤م وكرّس جهده لتدريس الأدب بالمدرسة الكتانية[١١]، وبعدما شرطة الاحتلال في الجزائر نتيجة نضاله ضده لتحرير البلاد وملاحقاتهم المستمرة له من قبل الشرطة، غادر إلى فرنسا عام ١٩٥٥م وانشغل هناك بالكتابة والإبداع الفني كالتمثيل في السينما والمسرح الفرنسي[١٢].

وأما تاريخ بداية إبداعاته الأولى فإنما راجعة إلى الخمسينيات من القرن المنصرم، حيث صدر له أول عمل عام ١٩٥٢م، ولأول مرة قام بكتابة نص شعري بعنوان "حامل الأزهار"[١٣]. ثم بدأ يكتب للصحف والمجلات يدافع عن النضال الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، ومع كتابة المقالات الصحفية كتب تمثيلات للإذاعة وكتب أكثر من مائتي تمثيله للإذاعة[١٤].

وقد أسهم ابن هدوقة بالعديد من الكتابات التي شملت الأدب والثقافة والسياسة، والشعر، والمسرح، والرواية، بالإضافة إلى اهتمامه بمجال النقد والدراسة، وتمثلت إسهاماته في الأعمال والآثار التالية:

إسهاماته في مجال الشعر:

[١١] . زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ص ٢٩٢.

[١٢] . الطيب ولد لعروسي، أعلام الأدب الجزائري الحديث الجزائر، دار الحكمة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ١٥٤.

[١٣] . نفس المصدر، ص ١٥٣.

[١٤] . نفس المصدر، ص ١٥٤.

أولى الأعمال الأدبية لدى ابن هدوقة تمثلت في الإبداع الشعري، والذي أخرج ديوانه الشعري الأول سنة ١٩٥٢م وهو يحمل عنوان "حامل الأزهار"، الصادر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

وبعد سنوات عديدة بعد أن نالت الجزائر استقلالها وتفرغ ابن هدوقة للكتابة أخرج ديوانه الآخر "الأرواح الشاغرة" عام ١٩٦٧م الصادر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع[١٥]، هذه المجموعة الشعرية تقع في ٩٨ صفحة من القطع المتوسط، وتضم ١١ قصيدة شعرية، على سبيل النموذج يتم تقديم إحدى قصائد هذا الديوان التي تسمى بـ "لا تقف أيها الشاعر:

لا تقف أيها الشاعر
ذلك الذي يلوّح بكلتا يديه للعابرين
هو الموت متبرج
غض النظر وابتسم
لن يتعدوه
لا تقف أيها الشاعر
أولئك عبيد بيض
يغازلون المستقبل بأحلام الماضي
دعهم يترعون كؤوسهم
على نخب الفناء
للفناء
لا تقف أيها الشاعر
لا تتألم
دع الآلهة والعبيد

[١٥] . زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ص ٩١.

يرتلون نشيد الفناء

للفناء

لا تقف أيها الشاعر

دع الأرض للأرض

فهي سكرى

مدمنة

خمرها معتّقة في أجسام العبيد

دعها تروي ظمأها الأبدي

فسوف تنبثق من تلك الأحداث

عيون لا تنضب

وزهور لا تذوي

وسوف تنطلق من صمتها

أغنية إنسان جديد

لا تقف أيها الشاعر

سر ولو طال السفر

إن ظمئت فاشرب من تلك

الأشعة الحمراء

المشعة في سماء الجزائر

وإن أدمى الليل قدميك

فابتسم

الزهرة دائما تبتسم

لأنها لا تخشى العدم

لا تقف أيها الشاعر

إن رأيت في السماء أشعة سوداء

فسر ولا تخش السفر
إنها الجريمة تنتحر
لا تقف، وسر
غدًا يطلع الفجر
وتمّحى لعنة الأجيال السابقة
وتغني الأرض أغنية جديدة
لإنسان جديد[١٦]

هذه القصيدة جاءت بعد أن نالت الجزائر حريتها المنشودة لكنها كانت منهوبة منهوكة بسبب الاحتلال الطويل، والذي لم يغادر البلاد قبل تشتيت شمل المواطنين وبذور الاختلافات حيث بدأت فرق المناضلين تتناحر فيما بينهم إذ لم يكن فيهم انسجام فكري لكن ابن هدوقة صاحب قلب شعري ذو طموح جامح أبى أن يستسلم، ويتوقف أمام هذه العراقيل والحواجز، بل وقف في هذه الأوضاع الحرجة بكل شموخ، وما هذه الأبيات إلا تعبيرات عن مواقفه الحاسمة التي اتخذها لنفسه ودعا إليه شعبه، فهو يريد التقدم حتى الموت وهي النهاية، ويدعو شعبه أن لا يصغوا إلى مغازلي المستقبل بأحلام الماضي ليبنوا المباني الجديدة الشامخة، وأن لا يتألموا بما يفعله الاستعمار وعبيدهم بعدهم، ويدعوهم إلى أن يتركوا العابثين بعبثهم كي يموتوا بسبب أطماحهم، وهو يعرف حق المعرفة بأنهم سيذهبون إلى دار الفناء وأن الدولة بفضل أبنائها الخلص ستبقى مزدهرة شامخة، وسوف يخرج من ترابها إنسان جديد، ومن ثم لا يريد الشاعر التوقف ولو للحظة، رغم المحن، والصعوبات، والتضحيات الدامية، لأنه متفائل للغاية وينتظر لابتسامة بعد كل تلك الأحزان، ابتسام الزهرات بعد تلك السنين العجاف، لأن الزهرة دائمًا تبتسم، فالشاعر لا يريد التوقف عن السفر، وإن

[١٦] . عبد الحميد بن هدوقة، ديوان "الأرواح الشاغرة"، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م، قصيدة "لا تقف أيها الشاعر".

كادت السماء المتلبدة بالغيوم أن تمطر، لأن الدولة يطلع عليه الفجر وتذهب لعنة الماضي ورواسب الاستعمار ومخلفاته وسوف يولد جزائري جديد من تراب الوطن وهذه الأرض سوف تغني لهذا الجزائري الجديد أغنية جديدة جميلة. ومن الناحية الفنية يتميز هذا الديوان بجدلية الالتزام والثورة والهوية، والتشكيل اللغوي الفريد.

وفي هذه القصائد يلجأ الشاعر ابن هدوقة إلى مجموعة من الوسائل الفنية لتشكيل لغته الشعرية على نحو يكسبها قيمة إيحائية وتعبيرية أغنى، تجعلها أقدر على الإيحاء بتلك العوالم الفسيحة الرحيبة التي يحاول أن يعبر عنها في خطابه الشعري الغنائي والذي اتخذه جسرا قويا مع الواقع الجزائري المتلبس، وركز عنايته على علاقة المستدمر الفرنسي والشعب الجزائري؛ وعملية التنوير التي أرادها ضرورة حتمية جادة لفهم هذا الواقع. ومن الناحية الفنية يبدو الشاعر ثائرًا على السلطة الاستدمارية بثورته على سلطة اللغة؛ والتحرر من كل منطق لغوي مألوف عن طريق التكرار الذي يمثل في واقع الأمر نزعة قومية تحررية ثورية، والشعر عنده لا يعرف الهزيمة واليأس، فمهما تطاول الاستعمار وأدى إلى انهيار الدولة وتفكيكها لكنه يريد التعبير عن ذاك الإنسان وإيقاظه مهما كانت قيمته.

إسهاماته في مجال القصص:

ومنذ مبكر سنواتها الثقافية بدأ يكتب القصص؛ فقد أخرج مجموعته القصصية الأولى "ظلال جزائرية" عام ١٩٦٠م الصادرة عن دار الحياة ببيروت، وتبعتها المجموعة الثانية بعد سنتين عام ١٩٦٢م باسم "الأشعة السبعة" عن الشركة القومية للنشر والتوزيع، بتونس. ثم أخرج مجموعته الأخرى "الكاتب وقصص أخرى عام ١٩٧٢م، وظهرت طبعته الأخرى عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عام ١٩٧٤م.

وإضافة إلى هذه القصص ساهم ابن هدوقة بقصص أخرى منها: "قصص من الأدب العالمي" وهي مجموعة قصص ترجمها واختارها من الأدب العالمي، صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عام ١٩٨٣م، و"النسر والعقاب" وهي قصة للأطفال صدرت ملونة عام ١٩٥٨م عن نفس الشركة، و"قصة في إيركوتسك" وهي مسرحية سوفيتية مترجمة، صدرت في الجزائر عن الشركة نفسها عام ١٩٦٨م.[١٧]

ومن ناحية المضمون تدور معظم القصص داخل مجموعته الكاملة حول الوطنية والثورية، وثيمات القصص تدور حول الصراع وتفاعل الإنسان مع هذا الصراع. يقول الدكتور عمر عيلان أستاذ من كلية الآداب واللغات بجامعة قسنطينة عن هذه الثيمات: "إن الثيمة المهيمنة في القصص القصيرة عند بن هدوقة من خلال مجموعات "الكاتب وقصص أخرى" و"الأشعة السبعة" و"ذكريات وجراح" تتسم بطابع الصراع والمواجهة، ومحورها الأساسي هو الإنسان الذي يتفاعل حينا مع حالات الوعي وأخرى مع مضامينه.."[١٨] ومعظم ثيمات هذه القصص تتمثل فيما يلي:

الأرض: الأرض تقوم بمثابة النضال الرئيسي لهذه القصص، لأن الأرض تعتبر محورًا أساسيًا للحياة والبقاء ونقيضًا للفقر والموت، يقول ابن هدوقة: "المشكل الأساسي في القضية هو الجوع ولكن الجوع لن يقترب منا فالحقول مسلحة بالسنابل المثمرة".[١٩] ومواجهة الفلاحين ومساهماتهم في الثورات الجزائرية إنما

[١٧] . وبه يبلغ عدد أعمال المنشورة لابن هدوقة إلى ١٦ عملًا، ينظر: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، لطيب ولد العروسي، ص ١٦٨–١٧٠.

[١٨] . عيلان، عمر (دكتور)، القصة القصيرة عند عبد الحميد بن هدوقة، قراءة موضوعية، دراسة، تم تحميلها على موقع الكاتب، على يد ابنه أنيس قبل ٣ سنوات و١١ شهرًا، من خلال العنوان: (https://www.benhedouga.com/content)، تاريخ الاستفادة: ١٢/٠٣/ ٢٠٢٢م.

[١٩] . ابن هدوقة، مجموعة الكاتب وقصص أخرى (قصة الفلاح)، ص ٣٥.

نابعة من هذا الأصل، إذ الحرية تنبثق من رغبة الفلاح الجزائري بالأرض، ففي قصة "الرجل المزرعة" يبدو الصراع القائم بين الفلاح الجزائري الأجير وبين المعمر الأجنبي الذي تسلط على أراضي شاسعة وسخر سكان القرية كلهم خدمًا له، يقول المعمر ليونارد: "أنا المسؤول الوحيد على المزرعة، على الأطفال والدجاج، على النساء والبقر، على الرجال والبغال، على المزرعة كل تلك المزرعة".[٢٠] ومن خلال سلوك المعمر ليونارد أشار ابن هدوقة إلى ما يفعله المستعمر مع المواطنين الأصليين، ومدى ازدراءه بهم؛ فهو لا يفرق بين البشر والحيوانات.

الحرية: التضحية لأجل الحرية تشكل قضية الحرية رافدًا أساسيًا للثيمة الرئيسية في قصص عبد الحميد بن هدوقة؛ فقصة "البطل" تروي مقاومة الشاب التونسي ضد الاحتلال الفرنسي ويضحي نفسه في معركة بترت، وعندما يموت يقول: "الآن أموت حرًا"[٢١]، فالموت من أجل الحرية هي حرية بذاتها.

الهجرة: تحدث القاص ابن هدوقة واقع الهجرة المرير الذي حصل في الجزائر إما قسرًا من قبل سلطات الاستعمار أو اضطرارًا بسبب كسب لقيمات العيش؛ فالهجرة تدل على مدى تدهور الوضع الاقتصادي بعد أن هيمن الاستعمار على موارد البلاد البشرية ومصادر القوت، وفي قصة "ثمن المهر" يسافر البطل عابد إلى فرنسا للعمل لأجل الحصول على المهر، لكن المرض يحل عائقا[٢٢]، وهي تصور الواقع اليومي للمواطن الجزائري، وفي قصة "الرسالة" يواجه الطبيب نفس المعاناة ويضطر للهجرة إلى فرنسا؛ وتسبب الهجرة فراقًا بينه وبين خطيبته سعدية، كما تناول ابن هدوقة الهجرة عرقلة دون تحقيق الهوية الثقافة

[٢٠] . ابن هدوقة، مجموعة الكاتب وقصص أخرى، (قصة الرجل المزرعة)، ص ٢٣.
[٢١] . ابن هدوقة، مجموعة الأشعة السبعة، (قصة البطل)، ص ٨١.
[٢٢] . ابن هدوقة، مجموعة الأشعة السبعة، (قصة ثمن المهر)، ص ٤٨.

للجزائرية، إذ يواجه المهاجر مشكلة الهوية في المهجر، وقصة منتصف النهار عالجت هذه المشكلة[٢٣].

المرأة: وابن هدوقة اتخذ المرأة موضوعًا لقصصه وعالج مشكلاتها وشخصيتها من جوانب شتى، وهي تغطي جانبًا كبيرًا من قصصه، وقد عمل الكاتب على تقديم ثيمة المرأة كبؤرة صراعية في شتى المستويات؛ من الحب، والحياة الزوجية[٢٤]، كما اتخذ ابن هدوقة المرأة رمزًا للحرية، فالمرأة والأم في قصة الأشعة السبعة مثال ورمز للسعادة والطمأنينة والدفء والحب والحياة الهادئة والحية[٢٥].

المثقف الجزائري: كان ابن هدوقة من شريحة المثقفين، الذين واجهوا مشكلات شتى، وهو شاهد عيان على أوضاع المثقفين الجزائريين؛ فلاغرابة في تناوله قضية المثقفين؛ فقصة "الكاتب" هي حكاية المثقف الجزائري، والذي يعيش صراعًا نفسيًا في المغترب الفرنسي حتى بعد الاستقلال، وهو يقارن بين الأوضاع السائدة وقت الاستعمار وبين أوضاعه في المغترب، فوظيفة الكاتب في بلاده أصبحت مستحيلة والكتابة صارت جريمة يعاقب عليها القانون وحبر الكتابة صار مصنفا في قسم المحظورات وكل من يملك زجاجة حبر يطالقه العقاب لأنه ارتكب مخالفة خطيرة "من أين أتيت بالحبر؟ ألا تدري بأن تهريب الحبر ممنوع؟ ... هناك إذن من يجرؤ على الكتابة في هذا البلد؟[٢٦] فأي عقاب يكون أكثر قسوة من حرمان الكاتب ممارسة الكتابة والتعبير عما يراه ويحس به.

وأما من الناحية الفنية تتسم قصصه باللغة الشعرية الصوفية، والتكثيف اللغوي المتكرر والانزياح الذي يضاهي الشعر مرات وكرات، وكما يراه الدارس

---

[٢٣] . ابن هدوقة، قصة منتصف الليل، ص ٥٣.

[٢٤] . ابن هدوقة، مجموعة الكاتب وقصص أخرى، (قصة عزيزة)، ص ١١٣.

[٢٥] . ابن هدوقة، مجموعة الأشعة السبعة، (قصة الأشعة السبعة)، ص ٩.

[٢٦] . ابن هدوقة، مجموعة ذكريات وجراح، (تمثال بلارأس)، ص ٢٨-٢٩.

مفتونًا بالنور[٢٧]، ويقوم القاص في بعض قصصه على إقامة تفاعل عميق بين الأجواء الخارجية والمؤثرات الطبيعية وحركة الريح وبين الأجواء الداخلية للقصة، ويوظف تقنية الحوار الهامشي[٢٨]، ويعمل على الاقتحام المفاجئ لخبر أو حادثة خارجية لا علاقة لها بالقصة[٢٩]، يقول الأستاذ إبراهيم عباس: " إن ارتباط معظم القصص التي ألفها الاديب بأحداث شخصية وطنية أيام الغبن والاستعمار جعلته كثير التسلل الى داخل الشخصية ورصد مشاعرها، وسبر أغوار نفسيتها ومنفذا ينتهي به الى تشكيل النموذج الذي قد يعبر عن جوهر المشاعر الانسانية الكامنة ...[٣٠]

إسهاماته في مجال الرواية:

اشتهر ابن هدوقة كأديب روائي قبل كل شيء، وإن سبق له الإبداع في المجالات الأخرى، مثل الشعر، والقصة، والتمثيل المسرحي، والمقالات الصحفية، ولم تظهر أولى رواياته "ريح الجنوب" إلا في عام ١٩٧١م، في حين ظهرت مجموعته الشعرية الأولى "حامل الأزهار" عام ١٩٥٢م أي قبل ١٩ عاما تقريبًا[٣١]. ولكن مع ذلك أصبح أول كاتب للرواية بلسان عربي في الجزائر، فروايته "ريح الجنوب" احتلت مكانة الصدارة.

---

[٢٧] . حفصة بو طالب، الأستاذ بجامعة المسيلة، "الكاتب وقصص أخرى والأشعة السبعة لبن هدوقة"، دراسة مفصلة، تم نشرها على موقع الكاتب ابن هدوقة الشخصي، من خلال العنوان: (https://www.benhedouga.com/content)، تاريخ الاستفادة: ١٢/٠٣/ ٢٠٢٢م.

[٢٨] . ابن هدوقة، مجموعة الأشعة السبعة، قصة دمعة قديمة، ص ٨٩.

[٢٩] . ابن هدوقة، مجموعة الأشعة السبعة، قصة منتصف الليل، ص ٥٤-٥٥.

[٣٠] . إبراهيم عباس (استاذ)، عبد الحميد بن هدوقة والفن القصصي، دراسة مفصلة، تم نشرها على موقع الكاتب ابن هدوقة الشخصي، من خلال العنوان: (https://www.benhedouga.com/content)، تاريخ الاستفادة: ١٢/٠٣/ ٢٠٢٢م.

[٣١] . مريم العربي، عبد الحميد بن هدوقة والبعد الاجتماعي ريح الجنوب أنموذجًا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربي والأدب العربي، تم تقديمها إلى قسم اللغة والأدب العربي، بكلية الآداب واللغات، التابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، تحت إشراف الأستاذ طالب أحمد، عام ٢٠١٦-٢٠١٧م، ص٩.

ويرى كبار النقاد من أمثال عبد الله الركيبي ، مخلوف عامر، واسيني الأعرج أن رواية عبد الحميد بن هدوقة "ريح الجنوب" هي أول عمل روائي باللغة العربية صدر بالجزائر ١٩٧١ م، وإن بدأت محاولات بدائية أخرى، غير أنها لم تكن رواية ناضجة من الناحية الفنية، وأما رواية "ريح الجنوب" فقد توفرت فيها مقومات الجنس الروائي في ظل الفراغ الذي ساد الساحة الأدبية الجزائرية، نعم، مما لا مرية فيه ظهرت بدايات فعلية للرواية الجزائرية من قبل كما يؤرخ العديد من الدارسين لميلاد الرواية الجزائرية العربية بالرواية المكتوبة باللسان الفرنسي التي تعتبر الأسبق تاريخيا منها رغم اشتراك كليهما في الهوية الثقافية والانتماءات الدينية و الوطنية؛ فقد كانت الروايات المكتوبة بالفرنسية سباقة إلى إنتاج نصوص روائية بلغت درجة عالية من النضج والكمال من الناحية الفنية، ويعتبرها البعض كإرهاصات جنينية للرواية العربية، وهذا ما ظهر جليا مع رضا أحمد حوحو في عمله الإبداعي "غادة أم القرى" والتي يراها البعض بأنها قصة مطولة، و قد عدّها الروائي واسيني الأعرج أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، و قال عنها: "إنها ظهرت كتعبير عن تيار الوعي الجماهيري بالرغم من آفاقها المحدودة" كما أنها وُسمت بالضعف الفني وافتقادها للشروط الفنية التي يقضيها الجنس الروائي ،إلا أنها "شكلت انفتاحاً جديداً بالنسبة للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية"، وتلتها رواية الطالب المنكوب للأديب عبد الحميد الشافعي عام ١٩٥١م، و"الحريق" للأديب نور الدين بوجدرة عام ١٩٥٧م، ورواية "صوت الغرام" للروائي لمحمد منيع عام ١٩٦٧م، وإن كانت تنقصها بعض الشروط اللازمة لإطلاق كلمة الرواية العربية عليها بمعناها الدقيق للكلمة، فقد جاء المخاض الفعلي للرواية العربية الفنية بالمعنى الدقيق للكلمة في صورة "ريح الجنوب" على يد ابن هدوقة عام ١٩٧١م.

تقول الباحثة زهرة ديك: "عبد الحميد بن هدوقة من أوائل الكتاب الذين كتبوا الرواية الفنية الناضجة باللغة العربية في الجزائر، ويعد من مؤسسي الرواية ما جعلوا يتبوأ مكانة هامة في الحقل الأدبي الجزائري والعربي"[٣٢].

ومنذ أن وطأ قدم ابن هدوقة المجال الروائي سنة ١٩٧١م كتب خمس روايات حتى سنة ١٩٩٢م، وتفاصيل أعماله الروائية على النحو التالي:

رواية "ريح الجنوب":

هذه أول رواية كتبها ابن هدوقة وصدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة ١٩٧١م يعالج فيها ابن هدوقة موضوع الأرض، والمرأة، والطبقة الإقطاعية، والوضع الاجتماعي السائد في الجزائر بعد الحصول على الاستقلال، وهي أول رواية جزائرية ناضجة بلسان عربي تجسد الواقع المعاش في الجزائر وفكرة الثورة الزراعية قبل حدوثها كما سبقت الإشارة إليه آنفا.

رواية "نهاية الأمس":

هذه رواية ثانية للروائي ابن هدوقة صدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة ١٩٧٥م وتدور موضوعاتها حول القروية الجديدة في فترة السبعينات من القرن المنصرم، والصراع الطبقي خاصة بين النزعة الإقطاعية وحب الاستغلال، ونزعة العمل من أجل الصالح العام ورفض الاستغلال والهيمنة[٣٣]، أي أنها تقوم على الثورة الاشتراكية، ومنظومتها الاقتصادية.

رواية "بان الصبح":

وهي الرواية الثالثة لابن هدوقة الصادرة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٠م وتدور الرواية حول المرأة ومشكلاتها التي تعيش في المدينة.

رواية "الجازية والدراويش":

---

[٣٢] . زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ص ٢٩١.

[٣٣] . محمد مصايف، الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م، ص ٩١.

هذه رواية رابعة صادرة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٣م، ترسم صورة الجازية ويبين جمالها الساحر بمزيج من الخيال والحقيقة، بالإضافة إلى توظيف الموروث الشعبي؛ إذ يحاول الروائي الحفاظ على التراث الشعبي الجزائري، ونقله إلى الأجيال المتعاقبة[٣٤].

رواية "غدا يوم جديد":

هذه هي الرواية الأخيرة لابن هدوقة، صدرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٢م تدور الرواية في فترة التسعينات المتسمة بفكرة الثورة، هنا يوازن الروائي بين فترة الاستعمار الغادر وفترة الفوضى غداة الاستقلال، والروائي يبدو متفائلا جدًا بالنسبة لمستقبل الشعب الجزائري، ويرى أنه كما انتهى زمن الاستعمار سيأتي يوم وينتهي زمن الموت القهري وسوف تدخل السعادة في البيوت وتذهب الأحزان والأتراح، وتحل محلها الأفراح.

إسهاماته الأخرى:

وبالإضافة إلى إسهاماته الأدبية والثقافية المشار إليها فيما أعلاه خلف ابن هدوقة وراءه مائتي (٢٠٠) تمثيلية ومسرحية إذاعية لم تنشر، وله أيضًا مجموعة من الدراسات الثقافية ومجموعة من القصص والقصائد الحرة الجديدة التي لم تنشر بعد[٣٥]، كما قام بنقل بعض الأعمال الأدبية القيمة من اللغات الأخرى خاصة الفرنسية إلى العربية، إضافة إلى أعماله باللغة الفرنسية والأمازيغية المحلية. كما أسهم الروائي ابن هدوقة في ازدهار الثقافة الصحافية بمقالاته الثورية، والتي أنارت طريق الحرية ونفخت في الأهالي جذوة الاستقلال. كما ساهم ابن هدوقة في مجال البحث من خلال كتابه "الجزائر بين الأمس واليوم" الذي نُشر تحت اسم وزارة الأخبار للحكومة الجزائرية المحتلة عام ١٩٥٦م. كما

---

[٣٤] . عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ١٣٠.

[٣٥] . طيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، ص ١٧٠-١٧١.

أخرج كتابه "دفاع عن الفدائيين" (دراسة مترجمة عن عمل قام به المحامي قير جيس) لأجل منظمة التحرير الفلسطينية، وتم نشره في بيروت عام ١٩٧٥م. ومن أعماله الثقافية كتابه الشهير "أمثال جزائرية" الصادر في الجزائر عام ١٩٩٣م عن الجمعية الجزائرية للطفولة، وهي كتاب قيم يبحث عن تاريخ الجزائر وهويته الثقافية الشعبية الحية والغنية في تراثه، وهي عمل أدبي ، يقول ابن هدوقة بخصوص هذا الكتاب: "أود أن اعترف من خلال عملي هذا بالتقاطع والتشابك والتداخل الثقافي بين مختلف الجهات الجزائرية وبين الأدب الشعبي والأدب العربي"[٣٦].

هكذا خلّف ابن هدوقة وراءه تراثًا ملحوظًا في الشعر والقصة، والمسرحية، والرواية والدراسات الأدبية بالإضافة إلى ترجمة أعمال مختلفة من لغات أوروبية إلى اللغة العربية، والتي جعلت من جهوده إسهاماته ذات دلالة كبرى تعبر عن مدى اهتمامات الكاتب المتنوعة، وبفضل روايته الأولى "ريح الجنوب" أصبح أول الروائيين الجزائريين الذي كتب رواية فنية بلسان عربي مبين. يقول الباحث طيب ولد العروسي: "ومن ثم يظل بن هدوقة وجهًا من وجوه الرواية الجزائرية المميزة حيث أرسى لها القوالب الفنية وكل المقومات الضرورية التي تمكنه من معالجة مأساة وآمال شعبه"[٣٧]. وأعماله الأدبية والثقافية تعكس مسيرة الجزائري بحلمه وطموحاته في المستقبل وما تكبد من مشقات في الحياة من أجل الاستقرار السياسي، والرخاء المادي، والقضاء على الفوضى والاضطرابات الداخلية الناتجة عن الاحتلال الفرنسي والذي ظل جاثمًا على صدر الدولة لمدة قرن وعقدين، ويلمس القارئ خصوصية الرؤية الفكرية والفنية العامة المتبلورة في كتاباته المتنوعة نظمها ونثرها، ويقف

---

[٣٦] . نفس المصدر، ص ١٧٠.

[٣٧] . طيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، ص ١٧٢.

القارئ مشدودًا أمام أسلوبه الناجع لمعالجة الواقع الجزائري بشتى مكوناته الاجتماعية والسياسية والتراثية والأسطورية، وبه ساهم ابن هدوقة في تكسير الجمود وتنوير العقول الراكدة بأدبه الراقي وقلمه الصافي المعبر عن الواقع الجزائري بصدق في فترات صعبة للغاية عاشها الكاتب مع المواطن الجزائري وأحسن في التعبير عن قضاياه ومشكلاته وهمومه وأفراحه وأتراحه.

خاتمة البحث

يتضح مما سبق أن الكاتب عبد الحميد بن هدوقة كان شاعرا كبيرا وقاصا بارزا وروائيا كبيرا وعملاقا، وقام بإثراء الأدب العربي عامة والأدب العربي الجزائري بأعماله الأدبية الكبيرة القيمة وإبداعاته النادرة من الشعر والقصة والرواية والمسرحية والتمثيل والدراسات الثقافية وغيرها من الأعمال الجليلة الأخرى، وحقا إن الكاتب عبد الحميد بن هدوقة يعتبر رائد الرواية الجزائرية الذي أسهم بروايته الكبيرة الشهيرة الفنية الأولى باللغة العربية التي أثبتت له المكانة المرموقة بين الأدب الجزائي خاصة والعالم العربي عامة، وأسال الله تعالى أن يجعل خدماته وأعماله الأدبية نافعة للجميع، والله الموفق!

المراجع والمصادر:

١. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، رواية، الشركة الوطنية للنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

٢. مريم العربي، عبد الحميد بن هدوقة والبعد الاجتماعي في رواية ريح الجنوب أنموذجا مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، العام الجامعي، ٢٠١٦-٢٠١٧م.

٣. ستيبانوف، عبد الحميد بن هدوقة الكاتب الحي، دراسة، قام إبن هدوقة "أنيس" بتحميلها على الموقع الخاص بالأديب إبن هدوقة، المقال أصلاً

بالفرنسية، نقلها إلى العربية عبد العزيز بوباكير، جامعي الجزائر، عنوان الموقع: (https://www.benhedouga.com/content).

٤. الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الجزائر، دار الحكمة للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٥. زهرة ديك، من روائع الأدب العربي الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

٦. عبد الحميد بن هدوقة، ديوان، الأرواح الشاغرة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

٧. عيلان، عمر (دكتور) القصيرة عند عبد الحميد بن هدوقة، قرأة موضوعية، دراسة، تم تحميلها على موقع الكاتب على يد إبنه أنيس من خلال العنوان (https://www.benhedouga.com/content)

٨. حفصة بوطالب، الأستاذ بجامعة المسيلة، الكاتب وقصص أخرى والأشعة السبعة، لإبن هدوقة، دراسة مفصلة تم نشرها على موقع الكاتب ابن هدوقة الشخصي، (https://www.benhedouga.com/content).

٩. إبراهيم عباس استاذ، عبد الحميد بن هدوقة والفن القصصي، دراسة مفصلة تم نشرها على موقع الكاتب ابن هدوقة الشخصي، (https://www.benhedouga.com/content).

١٠. محمد مصايف، الرواقة الجزائية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.

١١. عبد الحميد بن بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

..... ❖❖❖❖❖ .....